أملي

في هزيع ليلة من ليالي الخريف وقد نابي مضجعي ، تحاملت متماسكاً متمالكاً الى نافذة من مخدعي ، ارسل صعداء احرجت صدري ، واعالج نجية همّ اسهرتني . وكانت الليلة قمراء والهواء بليلاً بطيء الاسراء ، والسكوت سائداً مالئ العمار والخلاء ، لا دابٌّ يمرح ولا طائر يسبح ، وقد هجع الناس آمنين في اسرابهم ، ونام الخليون ملء اجفانهم ، فلا يسمع غير حفيف الاشجار ، ووقع الاوراق تتساقط من على الاغصان تساقط دمع حزين جازع او عاشق ضارع تساقطاً لهُ رجعٌ لطيف عذبٌ شجيّ اضطرب لهُ الوجدان فتحركت الاشجان ، كأنما يد الحنان طرقت ابواب الفؤاد ، أو أن أنامل الصبابة تمشت على اوتار الجنان . فشعرت من نفسي استئناساً بتلك الوحشة ، وارتياحاً الى تلك العزلة ، كأن بينهما حديثاً يتساقطانه أو نجوى يستسرّانها ولكنها نجوى ليست من لغة يراع او انشاد شادٍ ، انما هي ذات لغة طلية عذبة حلوة لا تدركها غير مشاعري ولا يفهمها سوى فؤادي

فلبثت انتقل ببصري الى ما حوت الارض من كائنات مرئية ، والسماء من اجرام فلكية ولكلٍّ منها مع النفس نجوى تطربها ، وسمرٌ لطيف يشجيها . حتى قضى بي التجوال الى البدر ، وقد برز من خبائه بعد طول الصبر . واقبل سابحاً في فضاء السماء ، جاثلاً بين بدائع الافلاك بعزة وخيلاء تحيط به النجوم احتراماً واجلالاً ، وتمشي الكواكب بخدمته

ادباراً واقبالا، متدججاً بسلاح نوره يروش سهام اشعته ،ممزقاً بها حجاب الظلام مظهراً ما خفي وراءه من سهول واعلام

رويدك يا شبه الحبيبة فالجوى　　أضاع رشادي إذ رأيتك ساريا
رويدك قد حركتَ ساكن لوعتي　　وارسلت دمعاً فوق خديّ جاريا
رويدك في تعجيل طلعتك التي　　جعلت فداها الروح مني ومالیا
رويدك دعني املأ العين من بها　　سناك لعلي لا أذمّ اللياليا

نظرت اليه نظراً مليا وتصفحته تصفحاً جلياً كأنه ادنى عائنة الى ناظريّ ، واقرب الكائنات لمساً من يديّ ، فالفيت شأنهُ شأني وقد ألفت نظرهُ امري فتلاقت العيون بالعيون وراحت الاحداق هائمةً في الاحداق تخترق اهداب الجفون ... حتى اسفر وجهه الصبيح عن ابتسامة خفق لها الفؤاد منبسط الجوارح ، ونزعت اليها الروح من بين الجوانح

مضى حين وانا منصتٌ اليه وهو منصتٌ اليّ؛ أستمع لنجواه ويستمع لنجواي واذا بغيمة سوداء هاجمته وهو في غفلة عنها ، وحالت بيني وبينه مكتنفة اياه بجناحيها ، فكئبت لذلك كأبة من أصيب بفراق نسيبه او فجع بفقد حبيبه ، ولا نسب بيننا غير ائتلاف العواطف ولا حبّ سوى انّ بهاءهُ اشبه بهاء من انا شاغف ، وان لم تكن عواطفه على شيءٍ من السحر، او انّ بهاءهُ من بهاء بدري. فتطلعت اليه اتشوّفه في مجراه،واتبين بعد الاختفاء ما اعتراه ، فلمحته حيرانَ هائجاً ، وهو مع الغيمة في عراك ، ومنها في احبولة وشراك ، وكان ذلك الشراك على صدري الحرج نسيجاً من خيوط الاوهام ، او ستراً لبسته فتخرّمته نصالُ السهام

لبثت طويلاً متصبرا ، وربما كان لبوثي قصيراً وانا لم ادرِ ، حتى تلعلعت السماط وبان البدر وهو بعدوّته يزري ، ونظر اليَّ فالفاني كما عهدني مشوقاً متشوّفاً اليه ، ورأيتهُ كما عرفتهُ يتألّق ضوءُ البشر من بين عارضيه

عاد البدر الى ما كان عليه وعدتُ . وسار في سمره وسرتُ

واني لأترشف خمر السرور صُراحا من يد ذلك الموقف ، وقد اطلقت للمواطف والشعور سراحا ، اذ بغيمة اشد من الاولى حقدا واعظم منها سوادا دنت منهُ تناصبه العداء وتكلفه الجلاد

هذا وما زالت جيوش الغيوم تارةً تتشتت تحت سهامه فتنخزل امامه أو تجانبه ، وطوراً تتألب عليه ثائرةً متضامنة تواثبه ، وهو يتنفس حيناً فيظهر للعيان في مظهر التعب الخائر ثم ينساب في المجاج متوارياً وراء الغبار المتطاير وكلما ظن انه ناجٍ ادركته غيمةٌ رجعت به الى الميدان قسرا فيعود الى المدافعة عن نفسه مكرهاً مضطرّا

هكذا شاء القدر ان اتجرَّع الكأس بعد ان ترشَّفتها ، واكره النفس على الصبر بعد ان اطمعتها ، حتى كان عَبَسُ الليل وقد غاب البدر تحت غيوم انحدرت عليه انحدار السيل ، فلم يرَ غير فضاءٍ داجٍ ظلامه ، وعمارٍ موحشة اعلامهُ ، انكفأت الى مضجعي حزيناً كئيباً اسمع زفزفة الاوراق تتساقط من على الاشجار فكان لها هزّةٌ في النفس ورجفة في الفؤاد اطبَقَتْ عينيَّ تحت ثقل اليأس وستر الانكسار .....

أملي هو البدر . والغيوم هي كوارث الدهر وظلمة الليل هي ظلمة القبر ..

لا لا أملي يا ناس ! فبيب مخلوف